المحاضرةالأولى: ماهيّة التّعليمية 1

يُعدّ النّحو العربيّ من القضايا المهمّة الّتي اتّسمت و ما تزال تتّسم بالأهمّية البالغة، و ذاك شأنها في الماضي، وهو حالها اليوم، وما ذلك إلّا لأنّ النّحو يمثّل العربيّة جُلّها إنْ لم نقلْ كلّها، فهو محور مبناها، وعماد معناها، و لما كان ذلك فالقضيّة إذن لم تفقدْ شيئا من أهميتها و قيمتها، ولم تزل الحاجة إلى العناية بها و بحث جوانبها قائمة.

ولعلّ ضعف السّليقة اللغويّة جيلًا بعد جيلٍ قد أحال الدّارسين على التّفكير في أسباب ذلك، وأنّ تعلّم النّحو و فهمه واستعماله فيما بعد، صار مشكلةً في حدّ ذاته، فراحوا يتتبّعونه منذ نشأته، ليتّجه تفكيرهم سريعًا إلى طبيعة المادّة النّحوية، وكذا إلقاء اللوم على المؤلّفين من حيث منهج تأليفهم، كما اتّجهوا أيضًا إلى طريقة و أسلوب تعليم هذه المادّة.

ولئن عدَدْنا كلّ ذلك مشكلة، فإنّه من الصّعب إيجاد حلول لها بعيدًا عن الحقائق التي أثبتها المختصّون في مجال التّعليمية. فما التّعليميّة؟ و ما هي عناصرها؟ و ما صلتها بالنّحو العربيّ؟

1 التّعليميّة eDidactiqu

هي كلمة مترجمة عن " eDidactiqu المشتقّة من " didaktitos اليونانيّة، والّتي أُطلقت على ضربٍ من الشّعر يتناول بالشّرح معارفَ علميّة أو تقنيّة، و قد تطوّر مدلولها ليدلّ على فنّ التّعليم(...)، ويمكن حصر موضوعها في دراسة آليّات اكتساب المعارف المتعلّقة بمجال معرفيّ مُعيّن، فهي تُمثّل في آنٍ واحدٍ تفكيرًا و ممارسة يقوم بهما المعلّم لمواجهة الصّعوبات التي يُلاقيها في تعليم مادّته[1]

[1]-ينظر، حمروش إبراهيم، التعليمية موضوعها مفاهيمها، وزارة التّربية، المجلّة الجزائرية، مارس، ع2، 1995،ص63-64.

وممّا لا يختلف فيه اثنان–في مجال تعليميّة*[1] اللغات–أنّ المعلّم و المتعلّم و المحتوى، هي العناصر الرّئيسة الّتي تُشكّل المثلّث الدّيداكتيكي، فضلا على عناصر أخرى تُكمّل العمليّة التّعليميّة من مثل: المنهج، والطّريقة، والوسيلة التّعليميّة..." **فهذه الأطراف كانت و لا تزال تحتلّ بؤرة التّفكير فيفلسفة الفكر التّربوي و الحضاري الإنساني الحديث"**[2]

أ/ المعلّم:

هو محور العمليّة التّعليمية كما وصفه أكثر الباحثين، إذ لا تقوم للعمليّة التّعليميّة قائمة دونه، إنّه عنصر رئيس يثلقّن و يُوجّه و يُصحّح، و بعبارةٍ أخرى، إنّه الّذي يتحمّل مسؤوليّة نجاح العمليّة التّعليميّة أو فشلها، حتّى قيل فيه: " **هو القطب الأساسي في العمليّة التّعليّة حيث يتولّى مهام التّلقين و يعمل باتّباعه طرقًا و أساليبَ مُعينة على مساعدة المتعلّمين لحصول المعرفة و الملكة لديهم"**[3]

و ينبغي للمعلّم أن يتّصفَ بمواصفاتٍ تتناسب و المهمّة الّتي أُسندت إليه، كأن تكون له قدرة على التّخطيط، وقابليّةٍ لتجديد مستواه المعرفي باستمرار، و كذا الاستفادة من علوم اللّغة المختلفة كاللّسانيات، ونظريّات التّعلم و غيرها...

ب–المتعلّم:

–ظهرت التّعليميّة في بعض مراكز البحث العمي بعدِّها تخصّصًا جديدًا، هدفه نقل تدريس المادّة التّعليميّة من صبغتها الفنّية التي تعتمد غالبا على خبرات المعلّمين و تجاربهم الفرديّة، ليكسبه طابعا علميّا تحليليّا، ينظر، مسعود طواهريّة، تيسير النّحو التّعليمي، دراسة في المنهج و آليات إصلاحه البيداغوجيّة، جامعة الوادي، ص31.[1]

–ابن حويلي الاخضر ميدني، الأثر التّربوي والنّفسي لكتاب النّحو المدرسي، أعمال ندوة تيسير النّحو، ص444.[2]

–لحسن عمر، النّحو العربي وإشكاليات التّدريس، أعمال ندوة تيسير النّحو، الجزائر، 2001، ص515.[3]

يُعدُّ الرّكن الأساس في العمليّة التّعليميّة، لا سيما في ضوءالدّراسات الحديثة الّتي توجّهت نحو دور المتعلّم المهمّ في عمليّة التّعلم، بل ذهب بعضهم إلى القول بأنّه سبب وجودها[1]

ومن ثَمَّ فإنّه من الضّروري معرفة خصائصه، وقدراته، وبيئته الّتي يعيش فيها، ومن أبرز تلك الخصائص: الاستعداد بنوعيه" الجسدي و العقلي"، الذّكاء، الرّغبة، و غيرها كير...

ويعتبره بعضهم القطب الثّاني في العمليّة التّعليميّة بعدّه المستفيد الأوّل من النّشاط التّعليمي الّذي يهدف إلى جعله يحصل على مضامين معرفيّة، أو مهارات معيّنة، ويوصي العلماء و الباحثون في مجال تعليم اللغات بالتّركيز على المتعلّم و العناية به من خلال معرفة احتياجاته الحقيقيّة على اختلاف السّن و المستوى العقلي، ولا يتأتّى ذلك " **إلّا في النّظر في أحوال الحديث غير متناهية العدد لحصرها واسنباط مُثلها، ومقاييسها، وقوانينها** " [2].

و من خلال ما سبق يمكن تأكيد فكرة الاهتمام بالمتعلّم في العمليّة التعليمية، بصفة معزولة عن المادّة التّعليميّة، لأنّنا إذا أخذنا بعين الاعتبار المستوى التّعليمي(المرحلة التعليمية)، فإنّنا سنجد الفرق واضحًا بين مرحلة الجامعة و ما قبلها، و يتبدّى ذلك على سبيل التّمثيل في تعليم النّحو الّذي يكون هدفه الأساس: إكساب المتعلّم ملكَةً لسانيّةً سليمة، تبليغيّة تُسعفه نطقًا و كتابةً، في حين أنّه يتجاوز هذا المطلب في التّعليم الجامعي الّذي يقضي بضرورة الاطّلاع على النّحو العلمي، لأنّ المتعلمَ في هذه المرحلة بحاجة مَسيسةٍ إلى تكوين نظري معرفي متين، وآخر تطبيقي عملي[3].

---

[1]-ينظر، عابد بوهادي، تحليل الفعل الدّيداكتيكي، مقاربة لسانيّة بيداغوجية، دراسات العلوم الإنسانيّة و الاجتماعية،2012، مج39، ع2، ص370.

[2]-ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، موفم للنّشر، الجزائر،(د،ط)،2007، ج1، ص185.

[3]-ينظر، لحسن عمر، النّحو العربي وإشكالات التّدريس، ص515،516.

ج- المحتوى[1]:

هو المادّة التّعليميّة المقرّرة في ظلّ المنهاج التّربوي المختار، ومن أخصّ خصائصها أن تتميّز بالتّدرج في مفاهيمها.

أمّا في مجال النّحو، فتُميّز التّعليميّة بين بين مستويين من النّحو، أحدهما: علمي، و الآخر تعليمي.

فالعلمي هو التّحليلي النّظري الّذي يُعنى بعرض النّحو تفصيلا بدءًا بنشاته، و أبرز أعلامه، و عرض المسائل النّحوية المعقّدة الّتي كثيرا ما اختلف فيها نحاة البصرة عن نحاة الكوفة،و هدفه العناية بالمتعلّم المتخصّص و الباحث الجادّ الّذي لا يقتصر بحثه على النّحو بعدّه وسيلةً لتصحيح النّطق،بل بعدّه غايةً في حدّ ذاته...

و أمّا التّعليمي ويُصطَلَح عليه بالوظيفي أيضًا فهو الذي يُراعى في تلقينه: المرحلة التّعليميّة و حاجات المتعلّمين المرهونة بقدراتهم و درجة استيعابهم للمحتوى المقدَّم، و هدفه التّكلم بلغة سليمة، و الكتابة بمثلها، لذا يمكن القول : إنّه لا يدرس النّحو كغاية، بل كوسيلة- كما أسلفنا-

---

[1]-اختلف العلماء حول المعرفة، إذ يرى بعضهم أولويّة استبدال المنهاج التّربوي بالمعرفة بغرض تنفيذ مكوّنات الفعل التّربوي بطريقة تُتيح للمتعلّمين التّعلمَ في ضوء أهداف معنية بالعمليّة البيداغوجيّة.